خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٤/٧/٥

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين

اليوم سأذكر غزوتين، أولاهما غزوة بدر الموعد، وكانت في العام الرابع من الهجرة، وتسمى ببدر الموعد وبدر الثانية وبدر الآخرة وبدر الصغرى أيضا.

عن ابن هشام وابن إسحاق أن النبي ﷺ خرج إلى بدر في شهر شعبان سنة ٤ هـــ.

وعن تاريخ هذه الغزوة وردت شتى الأقوال، فعن ابن هشام وابن إسحاق أن النبي ﷺ خرج إلى بدر الموعد في شهر شعبان من العام الرابع من الهجرة .

وقال الواقدي: إن هذه الغزوة كانت في السنة الرابعة من الهجرة عندما ظهر هلال ذي القعدة. وكان في بدر سوق من أول ذي القعدة إلى ثامن ذي القعدة، وفي رواية أن النبي ﷺ خرج من المدينة إلى بدر في شوال ووصل إلى ميدان بدر ليلة طلوع هلال ذي القعدة.

وعلى هذه الأقوال الثلاثة كانت هذه الغزوة في السنة الرابعة من الهجرة. وإن كان هناك اختلاف في تعيين الشهر.

وقد كتب عن ذلك حضرة مرزا بشير أحمد رضي الله عنه أن في نهاية شهر شوال من السنة الرابعة من الهجرة، خرج النبي الكريم ﷺ من المدينة مع ألف وخمسمئة صحابي.

وسبب هذه المعركة أن أبا سفيان بن حرب كان قد قال بصوت عالٍ عند الانصراف من غزوة أحد إننا وإياكم سنلتقي في مكان بدر الصفراء (فبدر يقال لها بدر الصفراء أيضا) فقال رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه: قل له نعم إن شاء الله. كتب العلامة البيضاوى أن النبي ﷺ نفسه أجاب: إن شاء الله.

كانت بدر الصفراء ماءً مشهورا بين مكة والمدينة أي بين وادي صفراء وجار، وعلى بُعد ١٥٠ كيلومترا جنوب غرب المدينة (فهذا هو موقعها)، وكان في الجاهلية يقام هناك كل سنة سوقٌ كبير من مطلع ذي القعدة إلى ثماني ليال.

كان أبو سفيان أعلن ذلك مغترا، ولكن مع اقتراب وقت الوعد، بدأ يتهرب من المواجهة. ولكنه كان يتظاهر بأنه يستعد لمهاجمته ﷺ بجيش عظيم كي يصل هذا الخبر إلى أهل المدينة وينتشر إلى سائر أنحاء الجزيرة العربية ويرتعب المسلمون من ذلك.

وفي الوقت نفسه قدم إلى مكة رجلٌ من بني أشجع هو نُعَيم بن مسعود (وقد أسلم لاحقًا)، وقال لأبي سفيان: جئت إلى مكة لأخبرك عن استعداد المسلمين. وقد رأيت بنفسي أن لديهم أسلحة كثيرة وجمالًا وخيولًا هائلة، كما أنهم جمعوا معهم حليفهم من القبائل. وهم مستعدون للهجوم بقوة كبيرة. لقد دعوتَهم بنفسك للمواجهة والآن آن أوان هذا الوعد، لذا يجب أن تري الشجاعة في ميدان الوغى. فقال له أبو سفيان صارفا الموضوع يا نعيم! إنك تعلم أن هناك جفافًا في منطقتنا. لم تمطر منذ فترة طويلة، وبرك المياه جافة. وفي المراعي لا يوجد حتى القش للمواشي والمراكب. وهناك شحة في القوت في كل مكان، لذا فمن الحكمة أن نمضي هذه الأيام. ولهذا يمكنك أن تلعب دوراً مهمًا (أي طلب منه المعونة)، يجب أن تذهب إلى المدينة وتعطي الناس معلومات مبالغ فيها عن قدراتنا وقوتنا البشرية وتشيع ذلك بكثرة، حتى نحافظ على ماء وجهنا وألا يأتي المسلمون إلى بدر خوفا من استعداداتنا. قال نعيم: وماذا ستعطيني مقابل أداء هذه الخدمة؟ عرض أبو سفيان عشرين جملا، فقبلها نعيم بسعادة. وقال يجب تسليم هذه المكافأة لسهيل بن عمرو ثم سأذهب لهذه المهمة. وكان سهيل صديقه الحميم. وعلى تشجيعه، استعد نعيم للمضي قدما. وزوده بجمل سريع لتنفيذ هذه المهمة في أسرع وقت ممكن.

تزود نعيم وانطلق نحو المدينة. وكان قد اعتمر وحلق رأسه. وركض نحو المدينة بسرعة يريد الوصول إلى المدينة فوراً، لئلا يخرج جيش الإسلام من المدينة. فلما وصل المدينة كان المسلمون مشغولين في الاستعداد للجهاد بحماس شديد. فسأله المسلمون: يا نعيم، من أين أتيت؟ قال: أنا قادم من مكة بعد العمرة، فقالوا له إذن من المؤكد أنك مطلع على استعداد أبي سفيان للحرب. قال بمبالغة كبيرة: لقد جمع أبو سفيان جيشا كثيرا، وضم إليه الجزيرة العربية كلها. إنه يأتي بجيش كبير ليس في وسعكم مواجهته.

فإن قبلتم رأيي فأقيموا أيها الناس بالمدينة، ولا تخرجوا من المدينة للحرب. إنه على وشك الهجوم على المدينة بجيش كبير لن ينجو منه سوى من هرب. سيُقتل رجالكم البارزون. ومحمد (ﷺ) نفسه لن يتحمل وطأة الجروح التي سيتلقاها. فهل تريدون مغادرة المدينة لتقعوا في فوهة ومواجهة الموت؟ مع الأسف! لقد قررتم لنفسكم قراراً سيئًا للغاية. والله! لا أعتقد أن أحدا منكم سينجو. لقد تكلم عن أمور تبعث على اليأس ليخافوا، وبدأ في تضخيم الأمور لدرجة أنه ذكر أحيانًا التفوق العددي لجيش أبي سفيان، وأحيانًا تحدث عن مخزونه من الأسلحة، وأحيانًا تحدث عن حماس زعماء قريش، وأحيانًا أشاد بتكتيكاتهم الحربية الخطيرة. لقد أقام حملته بمهارة لدرجة أنه في غضون أيام قليلة تسممت أجواء

المدينة المنورة بالخوف. فنجحت مكيدة نعيم بن مسعود، إذ قد فزع المسلمون الضعاف من هذه الإشاعات حقا، حتى صدَّق كل قائل كلام نعيم بن مسعود. وفي كل مجلس كان يُذكر كثرة جموع أبي سفيان وتجهيزه الهائل للقتال. فاستبشر المنافقون واليهود برؤية حالة المسلمين، وقالوا الآن سوف يمحى أثر أهل الإسلام من على وجه الأرض.برؤية الحالة السائدة على المدينة جاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما النبيَّ ﷺ وقالا: يا رسول الله إن الله تعالى مُظْهِرُ دينِه، ومُعِزٌّ نبيِّه، وقد وعدْنا القومَ موعدا لا نحب أن نتخلف عنه، فيرون أن هذا جبن منا. نرى أن تسير إليهم بحسب الموعد، فوالله إن في ذلك لخيرةً. فسُرَّ رسول الله ﷺ برؤية مشاعرهما جدا، وقال:والذي نفسي بيده لأخرُجَنَّ وإنْ لم يخرج معي أحد. فلما رأى المسلمون تصميم الرسول ﷺ وهمته وشجاعته ذهب عنهم الخوف والذعر وبدأوا يعدّون العدّة للمسير بكل حماس.

وكتب حضرة مرزا بشير أحمد عن هذه الغزوة، غزوةِ الموعد: كان أبو سفيان بن حرب رغم انتصاره في أُحد وجيشِه الكبير خائفا في قلبه، ومع أنه كان يريد القضاء على الإسلام إلا أنه ما كان يريد مواجهة المسلمين ما لم يجمع جمعا كبيرا، وبينما هو في مكة إذ أرسل إلى المدينة شخصًا اسمه نُعيم، وكان من قبيلة محايدة، وأوصاه بإرهاب المسلمين وتخويفهم كيفما استطاع بكلام مموه كذب، ليمنعهم من الخروج للقتال. فجاء هذا إلى المدينة وحكى لأهلها حكايات باطلة عن تجهيزات قريش وقوّهم وحماسهم للقتال، وبثّ الذعر في المدينة، حتى خاف بعض ضعيفي الطبع من الخروج لهذه الغزوة. ولكن حين دعا النبي ﷺ المسلمين للخروج وقال في خطابه: إننا قد قبلنا تحدي الكفار ووعدناهم بالخروج إليهم، ولا نستطيع أن نتخلف عن الموعد، وإني لأخرجنّ وإن لم يخرج معي أحد، وسأواجه العدو وحدي. فزال الخوف من قلوب الضعفاء واستعدّوا للخروج مع النبي ﷺ بكل حماس وإخلاص، وبدأت التجهيزات للمسير ثانية.

على كل حال، لما بلغ النبيَّ ﷺ خبر تجهيزات جيش أبي سفيان استخلف على المدينة عبدَ الله، الذي كان ابنًا لعبد الله ابن أُبي ابن سلول رأس المنافقين، ولكنه كان مسلما صادق الإسلام وصحابيا مخلصا وفدائيا. وفي رواية استخلف النبي ﷺ عبدَ الله بن رواحة رضي الله عنه. ولعل النبي ﷺ أمّر الاثنين لمهات مختلفة، أو أن الرواة اختلط عليهم اسمُ عبد الله، فقال بعضهم عبد الله بن عبد الله، وقال بعضهم عبد الله بن رواحة. على كل حال آتى رسول الله ﷺ الراية عليا رضي الله عنه، وخرج في ألف وخمسمائة من أصحابه ناحية بدر. وكان في هذا الجيش عشرة أفراس، وهي لرسول الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر بن الخطاب، وأبي قتادة، وسعيد بن زيد، والمِقْداد بن الأسود، وحُباب بنِ المنذِر، والزبير بن العوّام، وعَبّادِ بنِ بِشْر.

لقد خرج المسلمون إلى بدر مع أموال تجاراتهم، ووصلوا إلى هناك في غرة ذي القعدة. الحق أن في خروج المسلمين ببضائعهم التجارية وهم ذاهبون لقتال أبي سفيان لدليلا على شجاعتهم وعزيمتهم

وثقتهم بأنفسهم، وليس بمستبعَد أن يكونوا قد أخذوا معهم البضائع التجارية بأمرٍ أو إشارة من النبي ﷺ حيث رأى أن أبا سفيان إما لن يخرج للمواجهة، وإذا خرج سيلقى هزيمة نكراء ويلوذ بالفرار، وحيث إن في بدر سوقًا تقام في هذه الأيام فسوف يربح المسلمون هناك بالبيع والشراء، وقد حدث ذلك بالفعل.

وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَدْرٍ بحسب الموعد يَنْتَظِرُ أَبَا سُفْيَانَ، فَأَتَاهُ مَخْشِيُّ بْنُ عَمْرٍو الضَّمْرِيُّ الذي كان سيد بني ضَمْرَة، وكانت قد عُقدت معاهدة بين المسلمين وبَني ضَمْرَةَ في السنة الثانية الهجرية بأن المسلمين لن يهاجموهم ولن يهاجموا المسلمين، كما لن يساعدوا عدوا للمسلمين. فَقَالَ الضَمْرِيُّ: يَا مُحَمَّدُ، أَجِئْتَ لِلقَاءِ قُرَيْشٍ عَلَى هَذَا الْمَاءِ؟ وأدرك النبي ﷺ بكلام الضمري أنه منحاز إلى قريش، فقال: نَعَمْ يَا أَخَا بَنِي ضَمْرَةَ، وَإِنْ شِئْتَ رَدَدْنَا إِلَيْك مَا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَك من عهد الصلح، ثُمّ جَالَدْنَاك حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَك. فقَالَ مخشيّ: لَا وَاَللّهِ يَا مُحَمّدُ مَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْك مِنْ حَاجَةٍ.

في هذا اللقاء قد كشف النبي ﷺ بحكمته وشجاعته لأهل هذه القبيلة أنه لم يعقد معهم معاهدة الصلح عن جبن وضعف، وهكذا فإن النبي ﷺ قد ألقى بمنتهى الحكمة والنجاح رعبَ قوة المسلمين وشجاعتهم في قلوب شتى القبائل التي كانت تخطط لقتالهم بعد غزوة أحد ظنًّا منها أنهم ضعفاء.

لقد وصل المسلمون إلى بدر بحسب الوعد، لكن أبا سفيان أخبر زعماء قريش أننا أرسلنا نعيم بن مسعود، وهو سيثبط المسلمين قبل أن يخرجوا للحرب. إنه يحاول جاهداً لكننا سنخرج لليلة أو ليلتين ثم نعود. إذا لم يذهب محمد (ﷺ) في سفر، فمن السهل أن نقول ذهبنا ولكن محمدا (ﷺ) وأصحابه لم يأتوا، وبذلك سنكون منتصرين فإذا خرجوا سنُظهر أن هذا عام المجاعة، وسيكون من الأفضل لنا أن نخرج في عام خير، وسنعود من الطريق بقول ذلك. فقالت قريش هذه نصيحة حسنة. وعلى ذلك خرج جيش الكفار من مكة بقيادة أبي سفيان، وكان عددهم ألفين. وكان بينهم خمسون حصانًا. وعسكر هذا الجيش عند عين تسمى مجنة بوادي مر الظهران. وتقع مر الظهران على بعد اثنين وعشرين كيلومترا شمال مكة. وبسبب المجاعة ساءت أحوال قريش الاقتصادية حقا وتقلصت مصادر دخلهم، فلم يكن لديهم الشجاعة للوصول إلى المكان المحدد في الوقت المعين، أي الوصول إلى بدر، ولكن خوفا من الإحراج خرج هذا الجيش. وكان قائد جيشهم مثقلا فاتر الهمة منذ خروجه من مكة. وكثيراً ما كان يفكر في عاقبة الحرب مع المسلمين ويرتجف من رهبتها. وعندما وصل مر الظهران فترت همته وبدأ يفكر في أعذار للعودة، ووقف أخيرًا أمام جيشه ليعلن العودة ويشرح أسبابها.

فقال: يا معشر قريش، إن عام الخضرة سيكون مناسبا لكم للحرب، حتى ترعوا المواشي وتشربوا لبنها أيضا. هناك جفاف في الوقت الحالي، لذا سأعود، ويجب أن تعودوا أنتم أيضًا. فرجع الجميع

من دون أي معارضة لقرار أبي سفيان هذا، ولم يبد أحد رأيا في مواصلة الرحلة وقتال المسلمين. مما يتبين أن هيبة المسلمين كانت قد استولت على قلوب جيش الكفار بأكمله. وأما الرسول ﷺ فأقام في بدر ثمانية أيام في انتظار أبي سفيان، ثم رجع إلى المدينة، وبقي خارج المدينة ست عشرة ليلة في هذه المهمة، ولم يجرؤ العدو على الوقوف ضده وواجه الخزي، وارتفعت معنويات المسلمين. وكان بعض الكفار المحليين في هذه المنطقة يميلون نحو قريش مكة. ولما أوضح لهم النبي ﷺ عزمه بشجاعة عظيمة، ارتعبوا هم أيضًا. وخرج بعض تجار بدر وتوجهوا إلى مكة وأخبروا أبا سفيان بوضع ثبات المسلمين. وكان أبو سفيان وأصحابه يخجلون بشدة من جبنهم وإخلافهم للوعد. ورغم عدم نشوب حرب عملية في هذه المهمة، فقد استعاد المسلمون كرامتهم وثقتهم، وزاد العدو خوفا بشكل كبير.

كتب حضرة ميرزا بشير أحمد ﷺ في هذا السياق أن النبي ﷺ خرج من المدينة ومعه ألف ونصف من أصحابه، ومن ناحية أخرى، خرج أبو سفيان من مكة ومعه ألفي جندي، ولكن بسبب الفضل الإلهي وصل المسلمون في بدر بحسب الوعد، ولكن جيش قريش قطع مسافة قصيرة ثم عاد إلى مكة. وتفصيله أنه عندما علم أبو سفيان بفشل نعيم خاف في قلبه وأرجع جيشه في الطريق محذرًا أن هذا العام فيه مجاعة كبيرة والناس في ضيق لذا ليس جيدا القتال في هذا الوقت. وعندما ستكون لنا سعة سنهاجم المدينة المنورة بمزيد من الاستعداد. وأقام الجيش الإسلامي ببدر ثمانية أيام، وكانت سوق تنعقد هناك كل عام في أول شهر ذي القعدة. وفي تلك الأيام قام كثير من الصحابة بتجارة في هذه السوق وحصلوا على أرباح كثيرة. حتى أنهم ضاعفوا رأس مالهم في هذه التجارة التي استمرت ثمانية أيام. ولما انتهت السوق ولم يأت جيش قريش، غادر النبي ﷺ بدرا ورجع إلى المدينة. وعادت قريش إلى مكة وبدأت الاستعدادات للهجوم على المدينة المنورة. والآن بدأت قريش يستعدون للحرب مرة أخرى لإزالة الحرج والخزي وللإضرار بالمسلمين. باختصار، كانت هذه نهاية هذه المعركة.

المعركة الثانية هي دومة الجندل وقد وقعت في ربيع الأول سنة ٥ هجرية. ودومة الجندل تبعد عن المدينة حوالي أربعمائة وخمسين كيلومترًا. وفي العصور القديمة، كانت هذه المسافة تُقطع في حوالي خمسة عشر أو سبعة عشر يومًا. وكانت أقرب نقطة إلى الحدود السورية شمال المدينة المنورة. وكان بنو قلب فرع من قبيلة بني خزاعة يسكنون هناك. وكان سوق تجاري كبير ينعقد هناك تحت إدارة بني قلب. ما سبب تسميته دومة الجندل؟ كان هناك حصن مصنوع من نوع خاص من الحجر. وتُطلق كلمة "دومة" على المكان الذي تتراكم فيه الحجارة المستديرة بكميات كبيرة بسبب تتابع الفيضان. ويُسمى هذا المكان بدومة نسبة إلى دوما أو دومان ابنَي إسماعيل عليه السلام. باختصار، هذه هي الأسباب وراء اسمها. أما عن تاريخ هذه المعركة وعدد الجيش فقد ورد أنه بحسب جميع المؤرخين

وكُتاب السيرة فإن هذه المعركة وقعت في الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة ٥ هجرية. ما سببها؟ ورد عنه أن جميع المعارك مع العدو كانت مقتصرة حتى الآن بشكل أو بآخر على منطقة المدينة المنورة والحجاز، وكانت هذه أول معركة تحدث بعيدا عن المدينة المنورة بحوالي خمسة عشر يومًا بالقرب من الحدود السورية التي كانت محافظة للإمبراطورية الرومانية.

وخلفيتها أن أعداء الدين كانوا يبحثون عن فرصة لاستئصال الإسلام والمسلمين من جذورهم، بعد تعرضهم لهزائم متتالية من المسلمين وشعورهم برعب من المسلمين المتزايد.

ومن أجل تنفيذ ذلك، بدأت القبائل المجاورة لدومة الجندل، والمتاخمة لحدود الشام، في أقصى شمال المدينة المنورة، بحشد جيش كبير لتحدي المملكة الإسلامية. (أي تحدوا أنهم سيشنون هجوما وكانوا ينهبون القوافل التجارية. فكان هؤلاء الناس يسلبون القوافل التجارية). ولم يكن ذلك تحديا فقط بل كانوا يسلبون القوافل. وكل من وقع في أيديهم من المسلمين آذوه إيذاء كبيرا. فلما أُخبر رسول الله ﷺ بتحركات قبائل دومة الجندل، قرّر أنه من الأفضل- قبل أن تُعِدّ قبائل دومة الجندل جيشا كبيرا وتغزو المدينة المنورة- أن يصل المسلمون إلى أراضيهم ويشتتوهم فيمنعوهم عن غزو المدينة ولتصل القوافل التجارية إلى الشام بأمن وسلام.

وقد ورد عن هذا الاستعداد: أمر النبي ﷺ الناس بالخروج واستخلف سباع بن عرفدة الغفاري في المدينة، وخرج ﷺ في جيش قوامه ألفٌ من الصحابة. وكان يسافر ليلاً ويختبئ في النهار. وكان معه رجل من بني زرعة يدله على الطريق، وكان اسمه مزكور. لقد كان دليلا خبيرًا. وانطلق بسرعة وسلك طريقا غير مألوف في رحلته حتى لا يعلم به العدو. فلما اقترب رسول الله ﷺ من دومة الجندل قال الدليل: هذا مرعى بني تميم. وهنا جِمالهم ومواشيهم. انتظرْ هنا، وأنا سآتيك بالمعلومات. فقال رسول الله ﷺ: "حسنًا". فذهب العزري وحده ليحصل على معلومات فرأى آثار الماشية والماعز وكان أصحابها مختبئين في ملاجئهم. ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره أنه قد عرف أماكنهم. فانطلق رسول الله ﷺ من هناك وهجم على دوابهم ومواشيهم وأسر بعضا من أصحابها وهرب آخرون (أي أصحاب دومة الجندل الذين كانوا مختبئين ويُعِدون للقتال)

نزل النبي ﷺ في ميدانهم وأقام لبضعة أيام وأرسل بعثات صغيرة في جهات مختلفة. وعادت البعثات الإسلامية إليه بالسلامة. وجاءت كل جماعة ببعض الجمال ولم يجدوا رجالا إلا أن محمد بن مسلمة ﷺ قبض على رجل منهم وأتى به إلى النبي الكريم. فسأله النبي ﷺ عن أصحابه، فقال: "الليلة حين سمعوا أنك أسرتَ دوابهم، هربوا". ودعا رسول الله ﷺ هذا الشخص إلى الإسلام فأسلم.

يقول حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ عن غزوة دومة الجندل: كانت دومة الجندل قرب حدود الشام، وكانت تبعد عن المدينة بمسافة ١٥ أو ١٦ يوما. وكان السبب وراء هذه الغزوة أن النبي ﷺ أُخبر أن

أناسا كثيرين قد تجمعوا في دومة الجندل ويقومون بأعمال النهب والسلب. وإذا مرّ من هناك مسافر أو قافلة يهاجمونها ويؤذون وينهبون أموالها. وبالإضافة إلى ذلك نجم خطر آخر أيضا وهو أنهم قد يتجهون إلى المدينة ويتسببون في الحرج. ولما كان الهدف الأهم من حروب النبي ﷺ هو إقامة الأمن أيضا، لذا طلب من الصحابة السفرَ إلى ذلك المكان لوضع حدٍّ لأعمال النهب والسلب والظلم وإن لم يكن هناك خطر حقيقي كبير على المسلمين في المدينة. فلبى الصحابة نداءه ﷺ واستعد ألف صحابي ليرافقوه ﷺ في هذا السفر البعيد والشاق.

فخرج رسول الله ﷺ من المدينة في هذا السفر في ربيع الأول من العام الخامس من الهجرة، ووصل إلى قرب دومة الجندل بعد قطع مسافة طويلة وشاقة إلى ١٥ أو ١٦ يوما. ولكن تبين بعد وصوله هنالك أن هؤلاء قد تشتتوا شذر مذر نتيجة اطلاعهم على وصول المسلمين. أقام النبي ﷺ هناك إلى بضعة أيام، وأرسل بعثات صغيرة إلى جهات مختلفة للعثور على المفسدين. ولكنهم غابوا بحيث لم يُعثر عليهم غير أنه قد أُسر أحد رعاتهم وجيء به إلى النبي ﷺ فأسلم بتبليغه دعوة الإسلام. ثم عاد ﷺ إلى المدينة بعد إقامته هناك ﷺ إلى بضعة أيام.

وقد ورد عن العودة من دومة الجندل: بعد أن مكث ﷺ نحو ثلاثة أيام، خرج رسول الله ﷺ مع الجيش كله إلى المدينة ووصل إليها في العشرين من ربيع الثاني.

يقول مؤلف آخر عن أهداف غزوة دومة الجندل:

كان أمام رسول الله ﷺ أهداف كثيرة في هذه الغزوة. فهذه الغزوة لم تكن حربا بحد ذاتها، لكنها أتاحت الفرصة لرصد ومراقبة الوضع السائد في شمال الجزيرة العربية. وكان من أهدافها اكتشاف مراكز القوة الرئيسة في الجزيرة العربية. وإلى جانب ذلك، أثبتت غزوة دومة الجندل فائدتها الكبيرة من حيث كونها ذات مغزى كبيرة ونتائجها وثمارها. (وقد تم اكتشاف الظروف السائدة في المنطقة كلها، ووضع الحد للظلم، وكان هو الهدف الأكبر لهذه المعركة). على أية حال هذه الحرب، التي لم تحدث فعلاً، أنتجت انتصار المسلمين في المستقبل بفضل الله تعالى.

كانت هذه عملية عسكرية، وكانت في الواقع إجراءً لمنع حرب محتملة في المستقبل، (أي كانت هذه العملية لمنع الحرب المحتملة)، لأن العديد من القبائل العربية في تلك المنطقة كانت تنوي الهجوم على المدينة. بالإضافة إلى ذلك، كانت هذه حربًا سياسية أيضًا، حيث منعت الهجوم المحتمل من تلك القبائل التي كانت تحلم بالهجوم على المدينة بعد الهزيمة المؤقتة للمسلمين في غزوة أحد. وكان أحد أهداف هذه الحرب هو إزالة الرهبة النفسية لدى العرب بأنهم لا يستطيعون أبدًا محاربة الإمبراطورية الرومانية. (أي لم يكن لها هدف واحد فحسب بل أزالت هذه العملية الأثر النفسي الذي تشكل لدى

العرب بأنهم لا يمكنهم مواجهة الإمبراطورية الرومانية) وكان الهدف أيضًا أن يتم تأكيد العرب عمليًا أن رسالتهم عالمية وليست محدودة بالعرب فقط. (وقد أكدت هذه العملية للمسلمين هذا الأمر أيضا).
ومن خلال هذه الإجراءات المفاجئة والحاسمة والمبنية على التدبير الحكيم، نجح النبي ﷺ في استعادة الأمن والسلام في الدولة الإسلامية، والسيطرة على الوضع، وتغيير مجرى الأحداث والزمن لصالح المسلمين، وتخفيف وطأة المشاكل الداخلية والخارجية المستمرة التي كانت تحيط بهم من كل جانب.
بالإضافة إلى ذلك ارتدع بسبب هذه العملية الكثير من المعارضين عن معارضتهم، وداخليًّا توقف المنافقون أيضًا عن معارضتهم، وجلسوا بصمت ويأس، كما بات البدو العرب أيضا متراخين، وبالتالي أتيح للمسلمين فرصة لنشر الإسلام وتبليغ رسالة رب العالمين.
قام حضرة مرزا بشير أحمد ببحث عميق في موضوع سيرة النبي، وهو يكتب أيضًا عن هذا الأمر قائلا:
كانت هذه الغزوة الأولى من نوعها لأن هدفها، أو على الأقل هدفها الرئيس، هو إقامة السلام في البلاد.
لم يكن لأهل دومة أي نزاع مع المسلمين، لأنهم كانوا بعيدين عن المدينة بحيث لم يكن هناك خوف حقيقي من أنهم سيتحملون مشقة السفر الطويل للتسبب في مشاكل للمسلمين في المدينة. لذا فإن السفر المرهق لمدة خمسة عشر إلى ستة عشر يومًا من أجل مواجهة أهل دومة لم يكن لأي غرض آخر سوى وضع حد لسلسلة النهب ومضايقة القوافل والمسافرين الأبرياء التي كانوا يقومون بها في منطقتهم. فكان سفر المسلمين هذا لفائدة عامة الناس ولخير البلاد بشكل عام دون أن يكون لهم أي مصلحة شخصية فيه.
وهذا جواب عملي لأولئك الذين اعتبروا -بظلم وعدم إنصاف- مهمات المسلمين العسكرية الأولى التي خاضوا فيها تحت قيادة النبي ﷺ، عدوانيةً أو لإشباع أنانيتهم.
وكانت إحدى نتائج هذه الغزوة أن أهل دومة أصبحوا مرعوبين وتوقفوا عن أعمالهم المفسدة، وتحرر المسافرون المظلومون من ظلمهم.
ومن ناحية أخرى، بعد هذه العملية أصبح هناك نوع من التعريف بالإسلام في مناطق الحدود الشامية، في حين لم يبلغ هناك قبل ذلك سوى اسم المسلمين ولم يكن الناس على دراية بحقيقة الإسلام، فقد اطلع سكان هذه المنطقة بعد هذه العملية على تقاليد المسلمين وثقافتهم إلى حد ما.
كانت هناك بعض الجماعات المسيحية تعيش حول منطقة دومة الجندل. لكن لا تذكر الروايات ما إذا كان هؤلاء المفسدون الذين تمت هذه العملية ضدهم مسيحيين أم مشركين. لا شك أن هناك بعض الجماعات المسيحية أيضا كانت تجاور دومة الجندل، لكن لا تذكر هذه الروايات ما إذا كان هؤلاء المفسدون الذين تمت هذه المهمة ضدهم مسيحيين أم مشركين. لكن يمكن الاستنتاج من خلال الأوضاع

أن هؤلاء الناس كانوا مشركين على الأرجح، وذلك لأنه لو كانت هذه الحملة ضد المسيحيين لذكرها على الأقل المؤرخون المسيحيون حتمًا. على أي حال، الله أعلم.

باختصار، تثبت هذه الغزوات أنها كانت لمنع شر الأعداء والقضاء على نواياهم السيئة وإقامة جوٍّ من السلام العام، و لم تكن هادفة للقتل والتدمير أو التصرفات غير المشروعة وإفساد الأمن.

لذا فإن هذه الأحداث تدحض الاتهامات المذكورة ضد الإسلام والنبي ﷺ، لأنه لم تحدث الحرب في المهمة المذكورة، فعاد الناس بسلام وأمان و لم يتضرر أحد، وبشكل عام أُقيم السلام في المنطقة من خلال هذه العملية للمسلمين. فلم تتخلص قوافل المسلمين فقط من الظلم بل قوافل أخرى أيضا. وإلى هنا انتهى ذكر هاتين الغزوتين.

أود أن ألفت الانتباه مجدّدًا إلى الدعاء. اُدعوا الله أن يقيم السلام العام في العالم، ذلك السلام الذي سعى من أجله النبي ﷺ في زمنه، وكان هذا هو الغرض من بعثته، وهو هدف تعاليم الإسلام أيضا، ولا يمكن أن يتحقق كل هذا إلا بفضل الله الخاص، ولذا نحن بحاجة إلى الدعاء.

يبدو أن العالم الآن مزمع على قطع غصن الشجرة التي هو جالس عليها، ولا تلوح في الظاهر إمكانية قيام الأمن فيه. ومن ناحية ثانية يُتوقع في المستقبل أن تزداد، في هذه الدول الغربية، شدة الحملات ضد المسلمين. لذا، يجب على المسلمين أيضًا اتخاذ التدابير لبقائهم، فيجب أن يكونوا كتلة واحدة، ويحسنوا من حالتهم. أسأل الله أن يجعلهم يفهمون ذلك.

في البلدان الإسلامية، مثل السودان وغيرها، يظلم المسلمون بعضهم البعض، لذا ادعوا الله أن يوفقهم لإقامة السلام. لقد نسي هؤلاء الهدفَ الحقيقي من دينهم وبدأوا بقتل إخوانهم، وهذا هو السبب في أن غير المسلمين أيضا يظلمون المسلمين.

أسأل الله أن يجعل هؤلاء يخدمون بلدهم وأمتهم بدلاً من الجري وراء إشباع رغباتهم وأنانيتهم، وأن يجعلهم يقيمون السلام بدلاً من إفساده. آمين.